فعل القسم معنى التعظيم ويجعل هذا العامل فيه اذا ويحتمل
ان يقال ان اذا شرطية على بابها وجوابها محذوف يدل
عليه القسم لكن تقديره خبرا لا انشا وجملة الشرط وجوابه
المحذوف معترضة بين قوله والنجم وقوله ما ضل
صاحبكم قال الامام الرازي الفايدة في تقييد القسم
بالنجم بوقت هويه انه اذا كان في وسط السما يكون بعيدا
عن الارض لا يهتدي به الساير لانه لا يعلم به المشرق
من المغرب ولا الجنوب من الشمال فاذا زال تبين بزواله
وتبين جانب عن جانب كذلك النبي صلى الله عليه وسلم
خفض جناحه للمومنين وكان على خلق عظيم وخص الهوى
دون الطلوع لعموم الاهتدا به في الدين لا الدنيا
اما الدينوي فلانه ذكروا ما الدنيوي فكما قال
الخليل عليه الصلاة والسلام لا احب الافلين وفيه
لطيفة وهي ان القسم بالنجم يقتضي تعظيمه وقد كان
من المشركين من يعبده فنبه على عدم صلاحيته للالهية
بهويه وافوله قوله تعالى ما ضل صاحبكم وما
غوى هذا جواب القسم قال الزمخشري والضلال
نقيض الهدى والغي نقيض الرشد اي هو مهتد
راشد وليس كما تزعمون من نسبتكم اياه الى الضلال
والغي وقال الرازي ما ملخصه وتحقيق الفرق
بين الضلال والغي ان الضلال اعم استعمالا في المواضع

تقول

تقول ضل بعيري ورحلي ولا تقول غوى فالمراد من الضلال
ان لا يجد السالك الى مقصده طريقا اصلا والغواية ان لا
يكون له طريق الى المقصد مستقيم فالضال كالكافر والغاوي
كالفاسق والمعنى انه على الطريق المستقيم وان طريقه
مستقيمة قال ابن القيم نفى الله سبحانه وتعالى عن رسوله
الضلال المنافي للهدى والغي المنافي للرشد ففي ضمن
هذا النفي الشهادة له بانه على الهدى والرشد فالهدى
في علمه والرشد في عمله وهذان الاصلان هما غاية كمال
العبد وبهما سعادته وصلاحه وقوله صاحبكم يعني
النبي صلى الله عليه وسلم والخطاب لقريش ولفظة صاحب
تضاف تارة الى المصحوب الادنى كما هنا وتارة الى الاعلى
كقولنا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتامل كيف
قال صاحبكم ولم يقل محمد تاكيدا لاقامة الحجة عليهم
بانه صاحبهم وهم اعلم الخلق به وبحاله واقواله واعماله
وانهم لا يعرفونه بكذب ولا غي ولا ضلال ولا ينقمون
عليه امرا واحدا قط وقد نبه تعالى على ذلك بقوله ام لم
يعرفوا رسولهم فهم له منكرون وبقوله وما صاحبكم
بمجنون قوله تعالى وما ينطق عن الهوى نزلت لما قال
قريش ان محمدا يقول القران من تلقا نفسه وقوله وما
ينطق عن الهوى دليل على انه ما ضل وما غوى تقديره
كيف يضل او يغوي وهو لا ينطق عن الهوى وانما

Copyright © King Saud University